مفهوم التاريخ

التأطير الإشكالي لمفهوم التاريخ:

ليس الانسان كالحيوان يعيش لحظته الحاظرة ضمن دائرة زمانية مغلقة ومحدود، انه يتمتع بقدرة على تمثل ماضيه واستيعاب حوادثه، وذلك ليحسن قيادة مصيره ومستقبله.

ان التاريخ يندرج تحت لواء العلوم الانسانية، و يختص في دراسة الانسان في ماضيه، و يتأثر هذا الماضي فيه، ولم تتسن له هده الدراسة الا باكتشاف الكتابة التي جعلت الانسان ينتصر على الموت والنسيان والزمن، و أصبح بمقدوره أن يدون خبراته، و أن ينقلها من جيل لآخر، ومن مكان لآخر، ومن عصر لآخر. فامتدت الجسور بين الأجيال والازمنة.

إن مفهوم التاريخ يشكل بعدا أساسيا من أبعاد الوحود البشري. فالإنسان لا يوجد بوصفه شخصا فقط، ولا يوجد في علاقة تفاعلية مع غيره فقط، بل له وجود تاريخي متعين في الزمان والمكان، وجود تاريخي يصنعه الانسان، غير أن هذا الوجود يصنع الانسان أيضا. وتتولد عن هده المفارقة في الوجود التاريخي للانسان الإشكالات التالية:

كيف يمكن ان تكون معرفتنا بالتاريخ معرفة علمية و موضوعية ؟

هل تفيدنا هده المعرفة في الكشف عن منطق التاريخ و سيرورته؟

هل الانسان فاعل تاريخي و صانع له أم أنه خاضع له؟

المعرفة التاريخية

إشكالية المحور.

كيف يمكن أن تكون معرفتنا بالتاريخ معرفة علمية و موضوعية؟

إذا كانت المعرفة التاريخية تسعى الى تحديد معالم الماضي باعتباره مجموعة من الوقائع التي حصلت في زمان ومكان محددين، فان استحضار هذا الماضي ليس عملية سهلة، لأن ذلك يقتضي توفر منهج خاص يعيد بناء الظاهرة التاريخية انطلاقا من الوثائق التاريخية، ولكن مع ذلك يظل بناء معرفة دقيقة بالماضي يواجه عائق المسافة الزمنية التي تفصل الماضي عن الحاضر، والتي تجعل ادراك معاني ودلالات سلوكات وإنجازات الذين عاشوا قبلنا عملية صعبة مما يتطلب استعدادا ذهنيا خاصا واحتياطا منهجيا كفيلا.

إن موضوع المعرفة التاريخية إذن يطرح اشكالية منهجية تتعلق أساسا ببناء المعرفة التاريخية وما تطرحه من صعوبات منهجية، وهذا "هنري مارو" الذي يجعل المعرفة التاريخية هي معرفة علمية منظمة وصارمة ومخالفة لأي معرفة ادبية وطوباوية وأسطورية ... لأنها معرفة خاطئة ومزيفة .

ولكن في مجال المعرفة التاريخية لا وجود لماضي خالص، فكل ماض هو ماض مستحضر فقط، فحسب "ريمون ارون" المعرفة التاريخية هي إعادة لماضي انقضى وجوده، ولا يمكن للمعرفة به أن تكون الا معرفة منبنية عبر بحث وتنقيب وتحقيق بواسطة الوثيقة والمؤرخ، ولكنها ليست أحداثا عشوائية بل منظمة ومعقولة، ولكن رغم دلك تبقى دائما معرفة بعدية وجزئية و مؤقتة. إن معنى الماضي لا يتولد إلا في اطار علاقة نقدية تباعدية تحاول ما امكن الاقتراب من الماضي غير أنها لا تدركه بصفة نهائية، لهذا تبقى معرفة نسبية، وهذا ما جعل "غاستون غرانجي" ينظر الى المعرفة التاريخية كإعادة لبناء الماضي فقط وكإديولوجيا لم ترق بعد الى مستوى المعرفة العلمية الموضوعية.

التاريخ و فكرة التقدم

إشكالية المحور

هل تفيدنا المعرفة التاريخية في الكشف عن منطق التاريخ و سيرورته؟

يقود التاريخ من حيث هو تسلسل للأحداث الماضية الى التساؤل عن منطق التاريخ: هل هو تقدم أم تكرار؟هل هو تقدم محكوم بضرورة أم أنه يسير تحت رحمة الصدفة؟

إن فكرة التقدم تفرض علينا الوقوف عند "هيجل"الذي يرى التاريخ ليس بمثابة تاريخ سادج لما يقدمه رواة الأحداث، وليس أيضا تاريخ نظري يريد تفسير الوقائع واستخراج العبر والدروس من الماضي، بل إن التاريخ الحقيقي هو التاريخ الفلسفي الدي يهيمن على الوقائع وينظر اليها من وجهة نظر غير مقيدة بزمان، ذلك لأن العقل هو جوهر التاريخ، والعقل يحكم العالم، و لهذا يرى "هيجل" أن كل حدث من أحداث التاريخ إنما جرى وفقا لمقتضيات العقل. ومن هنا فالتاريخ تطور ونمو لمنطق باطن لم تكن الشخصيات التاريخية غير أدوات لتحقيقه دون شعورها بذلك.

إن تقدم التاريخ يحكمه منطق المتناقضات والاصطدامات والحروب والثورات التي تؤدي الى وضع للأمور أصدق وأفضل، أما فترات الهناء والرخاء والسلام والخلو من التناقض فهي ليست عصورا تاريخية. فالتاريخ الكلي هو تقدم الشعور بالحرية. غير أن المادية التاريخية التي قد عد قواعدها "كارل ماركس"و"انجلز" تنتقد هذا التصور المبني على صيرورة مثالية مجردة، و تفسر أحداث التاريخ على أساس العوامل المادية وحدها، وهي ترجع اساسا الى عوامل اقتصادية، ف "ماركس"و"انحلز" ينظران للتاريخ و للمجتمع على أنهما مسارح لعمليات تجري وفقا لمنهج الديالكتيك، إن التحول من الموضوع الى نقيض الموضوع ليتألف منهما في مرحلة ثالثة مركب موضوع.

إن التاريخ هو عملية حركة وتغير من النقيض الى النقيض، يقول ماركس و انجلز: "ان التصور المادي للتاريخ وتطبيقه الخاص على صراع الطبقات في العصر الحديث بين البروليتاريا و البورجوازية ليسا ممكنيين الا بفضل الديالكتيك"

إن التاريخ عموما حسب ماركس يتقدم بين قوى الانتاج، و ينتهي هذا التناقض بميلاد مجتمع جديد وبالتالي تاريخ جديد، وحتى"ريمون ارون" نفسه ينظر للتاريخ كتقدم دائم نحو الامام، وذلك من خلال الاحتفاظ بنشاطات الجيل السابق وتجديدها، إنه تقدم يحكمه النشاط الإنساني المتراكم والمتسم بالطابع العلمي.

ولكن "كلود ليفي ستراوس"وجه انتقادا حادا لفكرة التقدم، فالقول بها يعني قبول تصنيف وترتيب يسلم بهيمنة النمودج الغربي وبكونية تكذبها الأنثروبولوجيا.

فالمجتمعات ليست مطالبة باتباع نفس المسار التطوري الخطي بدعوى ضرورة التقدم لأن هدا الأخير لا يكون دائما منظما ومتواصلا، بل إن التاريخ والانسانية جمعاء لا تشبه في تقدمها مطلقا الفرد الدي يصعد سلما، حيث يضيف في كل حركة من حركاته خطوة جديدة لتلك التي حققها. بل تشبه لاعب النرد الذي يتوزع حظه على مجموعة من المكعبات التي يراها، كلما قام برميها، مبعثرة على السجاد، ومؤدية الى حسابات مختلفة. فتراكم التاريخ لا يتم سوى من فترة الى أخرى و فق الطفرات والقفزات التي ينضاف بعضها الى بعض لكي تشكل تركيبة ملائمة.

دور الإنسان في التاريخ

إشكالية المحور:

ما هو دور الانسان في التاريخ؟ هل الانسان فاعل تاريخي؟ بمعنى هل هو صانع للتاريخ أم خاضع له؟

يمكن اعتبار التساؤل عن دور الإنسان في التاريخ استمرارا للتساؤل عن منطلق التاريخ بصيغة أخرى. فالتاريخ هو أحداث ووقائع تقف وراءها اختيارات و قرارات، فهل يعني هذا ان الانسان فاعل تاريخي حقا؟

تختلف الإجابة عن السؤال باختلاف تصور الجواب لحقيقة التاريخ و لمنطقه.

..فهناك التصور الهيجلي الدي يرى أن الانسان مجرد وسيلة في يد الضرورة، أو بالأصح في يد العقل أو الروح الموضوعي الدي يوجهه ليحقق غايته، حتى لو كان هذا الانسان عظيما "كنابليون" مثلا. فالعظيم لا يصنع التاريخ بقدر ما يصنع التاريخ هذا العظيم.

وإذا نظرنا الآن الى تصور سارتر للتاريخ لوجدنا أن التاريخ في رأيه إنما هو قصة تسجيل الفعل البشري لذاته في صميم الواقع المادي، وحينما يتحدث سارتر عن "الممارسة" أو البراكسيس فهو يعني به كل نشاط بشري هادف أو كل فاعلية انسانية ذات دلالة. فالإنسان هو الموجود الذي يملك ؛إمكانية صنع التاريخ؛ ولا تظهر هذه الامكانية إلا بظهور "العملية الديالكتيكية "ومعنى هذا أن التاريخ لم يبدأ إلا حينما جاءت بعض الأحداث غير المتوقعة، فعملت على التي عملت على إظهار ضرب من التصدع في حياة الناس ومن تم فقد تسببت في حدوث ضرب من التناقض، وحينما حاول البشر العمل على تجاوز هدا التناقض خلقوا "مؤلفا"جديدا، كان من شانه تغيير عللهم وهكذا يظهر التاريخ إلى عالم الوجود. والحق أن أهم سمة تميز الانسان – في رأي سارتر– هي قدرته على تجاوز أي موقف كائنا ما كان، و لهذا يؤكد سارتر أن البشر لا يصنعون تاريخهم إلا بفضل عملية التجاوز المستمرة التي تسمح لهم بالامتداد الى ما وراء ظروف حياتهم، فالاحداث البشرية – في رأي سارتر– لا تقع نتيجة لاي مخطط خارجي سابق كما أنها لا تندرج مطلقا تحت أي نظام محدد

أومقدر سلفا، و كأن تفسيرها قائم مند الأزل في لوح محفوظ، و لكن المفكر والسياسي الايطالي "ميكيافلي" يرى عكس دلك فهو يقول بأن الأحداث التاريخية يحكمها القضاء و القدر، وأن الأمور تجري وفقا لمشيئة الحظ، غير أنه لا يتوقف عند هذا الحد، فالانسان بدوره قادر على تغيير ومواجهة هذا القدر بفضل إرادته القوية، وهكذا "فمكيافلي" يربط التاريخ والأحداث بمكونيين أساسيين هما الإنسان والقدر.

هام : يعتبر هذا الملخص اقتراحا لصيغة أولية تقريبية مساعدة لمفهوم التاريخ حسب الكتاب المدرسي: منار الفلسفة

الدرس من إعداد الأستاذة : بشرى لهديلي